القيمة العلمية لكتاب سيبويه

The scientific value of Sibawayh's book

الباحثة/ هدى أحمد عبدالله الحمزي [1]

1) طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية
كلية اللغات - جامعة صنعاء.

ملخص البحث:

يعرض هذا البحث موضـــوعاً مهماً في الدراســات النحوية، إذ يكشــف عن قراءة لمضــمون كتاب ســـيبويه، تهدف إلى توضـــيح قيمة الكتاب العلمية عند العلماء قديماً وحديثاً، والحديث عن أوجه التشابه بينه وبين المناهج اللسانية الحديثة؛ لكونه أول مُؤلف جامع لقواعد اللغة العربية – نحوها وصرفها ولغاتها وأصواتها وقراءتها– وصل إلى الأجيال، وكذلك التدليل على أنه كتاب علمي؛ لأنه يمثل أساس النظرية النحوية العربية وهيكل بنائها، على خلاف ما تداولته الروايات من أنه كتاب تعليمي ألف لغرض إكســـــاب قواعد اللغة لمن لا يجيدها.

الكلمات المفتاحية: (القيمة، العلمية، عناية، أهمية، علمية، سيبويه).

Abstract

This research investigates a significant topic in the field of grammatical studies. It introduces a reading of the contents of Sibawayh's book, aiming to clarify its scientific value from the scholars' perspectives in the past and in the present. Besides, it aims at tackling the similarities between the book and the modern linguistic approaches since it is the first comprehensive book that came to the generations involving all the rules of the Arabic language, the rules of its syntax, morphology, dialects, sounds, and modes of readings. Moreover, the study aims to demonstrate that Sibawayh's book is a scientific book because it represents the basis of the Arabic grammatical theory and the structure of its building, unlike what was circulated in narratives, that it is an educational book written for the purpose of imparting the language grammar to those who do not master it.

Key words: value, scientific, care, significance, Sibawayh

.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وصفوة رسله محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

وبعد:

أثار كتاب سيبويه (ت180 هـ) منذ ظهوره اهتمام علماء عصره وما تلاه من عصور، وتدافع لقراءته خصومه ومنافسوه من النحويين البصريين والكوفيين حتى وصلت روايته إلى نحاة الأندلس، ولا عجب فهو الكتاب الأول في علم النحو، وهو سجل لقواعد اللغة العربية عامة، نحوها وصرفها وأصواتها وقراءتها ولغاتها، ولم يشذ منه إلا ما لا خطر لصاحبه(1). فهو بحق "أعظم ما يصنع عالم لموضوعه، أتاه حقه من التقصي والاستيعاب والدرس والنقد ... حتى استحق أن يكون كتابه في النحو والصرف الكتاب، واستحق هو به أن يكون في النحويين الإمام"(2).

وقد استوعب سيبويه علم أساتذته ومشايخه، ولا سيما أستاذه الخليل بن أحمد (ت175هـ)، الذي رُزق ملكته في القياس والابتكار والاستنباط، ولزم طريقته في التحري لما يسمع عن العرب، فلم يكتف بالنقل المجرد أو الجمع بلا علم، بل كان يحتكم إلى اللغة والسماع والقياس الذي عرف عن أسلوبه، فقد صاغ به معلوماته اللغوية عن طريق الاستنباط وحسن التعليل، والتدليل على كل ما احتاج إلى الحجة والدليل لما خالف أصوله ونظائره. لذلك فالكتاب يُعد ثمرة ناضجة من أهم ثمار الدراسات اللغوية عامة والدراسات النحوية خاصة مادة وأسلوبا ومنهجا، ويكفيه فضلا أن سُمي بـ "قرآن النحو" وقيل عن مؤلفه بأنه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل. وأغلب ما جاء بعده لم يكن إلا تفسيراً وشرحاً لمبهمه، أو اختصاراً لبعض مسائله، أو ترتيبا لأبوابه وقواعده، أو وضع حدود لمصطلحاته، أو صياغة لمصطلحات سكت عند التمثيل لها، فجاءت عباراته متفاوتة وضوحا وغموضا وإن كانت معهوده في زمن تأليفه.

ورغم ما جاء به سيبويه من أسس وأصول نحوية تعد المرجعية الأولى لقواعد النحو العربي، إلا أن هناك بعضاً ممن دفعت بهم المنافسة إلى إثارة الشكوك حول أحقية سيبويه بكتابه، وأهميته التي لا تغيب عن ذهن عالم متيقن من علمه، فذهب بعضهم إلى القول بمشاركة غير سيبويه في تأليف الكتاب، وذهب بعضهم إلى القول بأنه أول كتاب تعليمي في النحو بناء على أن النحو نشأ نشأة تعليمية. وقد ذهبت الباحثة في هذه البحث الموسوم بـ" القيمة العلمية لكتاب سيبويه" إلى توضيح تلك المكانة التي بلغ بها هذا الكتاب وصاحبه في الدراسات اللغوية شأنا عظيما قديما وحديثا، فبنته على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول الموسوم بـ"عناية العلماء بكتاب سيبويه " تتضح مكانته من خلال عرض بعض أقوال العلماء فيه والعناية به عن طريق قراءته وشرحه ودراسته والتأليف في فلكه وتحقيقه وطبعه.

ISSN : 2410-1818

كما وضحت الباحثة في المبحث الثاني الموسوم بـ"علمية كتاب سيبويه" الفرق بينه وبين الكتب التي قيل عنها: كتب تعليمة، ألفت لغرض إكساب القواعد لمن لا يجيدها، وتطرقت في المبحث الثالث الموسوم بـ"أهمية كتاب سيبويه" إلى عرض الأهمية العلمية لكتاب سيبويه، التي تتمثل في كونه المؤلف الأول والوحيد في تأطير الأصول والأسس التي قامت عليها النظرية النحوية العربية. وقد كانت هذه المباحث مسبوقة بمقدمة تجلت فيما مضي من الحديث، ومذيلة بخاتمة حوت خلاصة الموضوع التي تؤكد على أن كتاب سيبويه كتاب علمي لا تعليمي، وضع فيه مؤلفه أساسيات النظرية النحوية وأركانها، فسيبويه يُعد المنظر الأول لهذه النظرية التي تلاقت مع العديد مما جاء به المنظرون الغربيون في العصر الحديث.

المبحث الأول: عناية العلماء بكتاب سيبويه

كان كتاب سيبويه- ولا يزال- كتاب العربية الأول ودستورها المجيد؛ ولذلك أطلقوا عليه قديماً قرآن النحو(3)، فكان منهم من يختمه كل فترة، كأنما يتلوه تلاوة القرآن، وكان منهم من يحفظه عن ظهر قلب(4)؛ لأنه كان جماع الفن شاملاً كل ما يحتاج إليه طالبه مع الترتيب والتبويب، الترتيب على غير المألوف(5) عما في الكتب المتأخرة مع تداخل في بعض الأبواب وغموض في بعض سطوره لا يفصح عن المقصود إلا مع الألفة والمدارسة؛ لأن النحو العربي كما جاء في "الكتاب" لم يكن مجرد قواعد لتعليم النطق السليم والكتابة الصحيحة بالعربية، بل لقد كان أكثر من ذلك فهو قوانين للفكر داخل هذه اللغة.

لقد قدم سيبويه للنحو خدمة لم يُسبق إليها فُعد كتابه معيار العربية وخزانة مادتها، فليس لنحوي قديم أو حديث كتاب يجارى كتابه أو يدانيه، فقد كان القدماء يعظمونه ويكبرونه، ولذلك سموه "البحر"، تشبيها له لكثرة درره وصعوبة فهمه، وكان المبرد يقول لكل من أراد قراءته عليه: هل ركبت البحر؟ تعظيماً له واستصعابا لما فيه(6). أما أبو عثمان المازني (ت249هـ) فقد كان معجباً بالكتاب حتى أنه قال: "من أراد أن يعمل كتابا كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"(7).

وقال الجاحظ (ت 255هـ): "أردت الخروج إلى محمد بن عبدالملك ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له: أردت أن أهدى إليك شيئاً، ففكرت، فإذا كل شيء عندك فلم أر أشرف من هذا الكتاب... قال: واللّه ما أهديت إلىّ شيئاً أحب منه"(8).

وقال صاعد بن أحمد الجياني الأندلسي (ت417هـ): "لا أعرف كتاباً أُلف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصوله فيه شيء إلا ما لا خطر له"(9).

ISSN : 2410-1818

وقال أبو البركات الأنباري (ت577هـ): "وبرع في النحو وصنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله، ولا لحقه أحد من بعده"(10).

وقال ياقوت (626هـ): "لأهل البصرة ثلاثة كتب يفخرون بها على الأرض: كتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات"(11).

لقد رُزق كتاب سيبويه القبول من علماء الأمة وأئمتها منذ خروجه، فكثرت حوله الدراسات والشروح والأبحاث التي لا يعلم عدّها إلا الله، فهي من الكثرة بحيث تند عن الحصر وكان أول من تلقى الكتاب عن سيبويه- كما تمت الإشارة سالفاً- الأخفش سعيد بن مسعدة (ت215هـ) فكان طريق خروجه للناس، وعنه أخذه نحاة البصرة من تلاميذه وتلاميذ سيبويه، فقرأه على الأخفش كل من أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني (ت250هـ) وأبي عمر الجرمي (ت225هـ)، وأقرأه كل من هؤلاء أفواجاً من الطلبة كان بعضهم يتجشم عناء السفر من أجل أخذ هذا الكتاب مشافهة وسماعاً، ولا سيما بعد أن أصبح العالم لا يُعد كذلك إلا إذا قرأ كتاب سيبويه وفهمه(12).

كما أخذه عن الأخفش نحاه الكوفة وأفادوا منه بالرغم من المنافسات الحادة التي كانت بينهم وبين البصريين، فأول من قرأه عليه من الكوفيين الكسائي (ت183هـ)، "فعن أبي نصر الباهلي قال: حمل الكسائي إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً وقرأ عليه كتاب سيبويه سرا"(13). كما تذكر الروايات أن الفراء (ت207هـ) توفى وتحت رأسه كتاب سيبويه(14). وغيرهم ممن لم تمنعهم عصبيتهم من الانتفاع بما جاء فيه. كما انتشر الكتاب في حلقات الدرس ببغداد على يد أبي العباس المبرد (ت285هـ) الذي قرأه على الجرمي ثم المازني، فقد استطاع أن يستأثر بمجالس الدرس في بغداد عقب وصوله إليها فاجتمع الناس حوله واعجبوا بكتاب سيبويه إعجاباً كبيراً.

ولم تقف العناية بدراسة كتاب سيبويه عند حدود المشرق، بل لقد اجتاز تلك الحدود إلى الأندلس، فكان أقدم من عُرف في الأندلس من حفظة كتاب سيبويه حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين، ولعله أول من عُرف به(15).

ولكون هذا الكتاب يمثل أساس نظرية علم النحو العربي، فكان من الطبيعي أن يعتريه بعض الغموض في قضاياه ومسائله، الأمر الذي دفع العلماء من بعد سيبويه إلى الاهتمام به، فعكفوا على دراسته وانبرى كثيرون يشرحونه ويفتشون عن مكامن دره، ويوضحون غوامض ألفاظه ويشرحون شعره ونثره، فكثرت تلك الشروح والتعليقات والنكت والاستدراكات، وبلغ التأليف الدائر في فلكه ذروته حتى لا تجد عصراً من العصور إلا وفيه جماعة من العلماء تصدوا له، حتى يمكن القول: إنه لم يمض جيل من الأجيال دون أن يترك للأمة تراثاً علمياً متصلاً بكتاب سيبويه، وهذه

ISSN : 2410-1818

المسألة لم تقتصر على زمن محدد أو إقليم محدد، وإنما استمرت عبر القرون في شتى الأمصار، سواء عن طريق نقل وشرح الكتاب نفسه أم تأليف يدور في فلك قضاياه.

لقد أولى العلماء بكتاب سيبويه قديماً وحديثاً عناية كبيرة، حيث أقاموا عليه العديد من الدراسات، بل إن منهم من لم يكتف بتأليف كتاب واحد حوله وتجاوز إلى جمع من الكتب تدور كلها حول كتاب سيبويه لتوضيح ما غمض منه، أو شرح ما استغلق فهمه، فالمبرد مثلاً الذي بدأ بقراءة كتاب سيبويه قراءة علمية على الجرمي ثم ختمه على المازني، وبعد أن حلل أحكامه وألم بمسائله وأحاط بما فيه اتخذه موضوعاً لمؤلفاته، فألف خمسة كتب مختلفة، هي كما نقلت كتب التراجم(16): كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه وهو الكتاب الذي سُمي بمسائل الغلط، وكتاب الزيادة المنتزعة من سيبويه، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه، وأخيراً كتاب معنى كتاب سيبويه. وهذه المؤلفات وإن كان لم يصل منها شيء إلا إنها مما دارت حولها الروايات على كثرة التأليف حول الكتاب، فلقد حظي كتاب سيبويه بقدر وافر من الرعاية والعناية فتناولوه بالشرح والتعليق تارة وبمحاولة مجاراته في التأليف وما ضمه من مادة علمية تارة أخرى، حتى أصبح الكتاب منطلقاً أساسياً لكل مؤلف يوضع في النحو أو اللغة؛ لأنه يمثل أول جهد نحوي وصل إلى الأجيال مدوناً ومشتملاً لأسس نظرية النحو العربي وأصولها.

وشرح الكتاب كثير من العلماء، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الأخفش الأوسط وأبو عثمان المازني وأبو العباس المبرد وابن السراج (ت316هـ) وأبو بكر مبرمان (ت345هـ) وأبو سعيد السيرافي (ت368هـ) وأبو علي الفارسي (ت377هـ) وأبو الحسن الرماني (ت384هـ) وابن الباذش (ت528هـ) والزمخشري (ت538هـ) وابن خروف (ت745هـ) والصفار (ت بعد 630هـ) وابن الضائع (ت680هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، وغيرهم كثير ممن شرحوا أبياته ومشكلاته وأبنيته(17)، ولكن أشهرها وأجلها مما وصل إلى الأجيال هو شرح السيرافي الذي تقصى أبواب الكتاب كلها وشرح دقيق مسائلها وجليلها وفتق المسائل التي أجملها سيبويه، ووضح ما أغمض منها، بل لقد أنشأ أبواباً جديدة لرؤوس بعض المسائل الواردة عند سيبويه استشعاراً منه لحاجة القارئ إلى تلك الإضافات(18).

كما وجد الكتاب رواجاً كبيراً في الأندلس كما يليق به، حيث عكفوا عليه بالحفظ والدراسة ردحاً من الزمن، وتلت مرحلة دراسة الكتاب مرحلة تأليف نشطت حول الكتاب، فقد ألف الزبيدي (ت379هـ) في الاستدراك على أبنيته، وألف القرطبي (ت401هـ) في شرح عيوبه، وشرح الكتاب الأعلم الشنتمري (ت476هـ) الذي ألف النكت في شرح الخفي من غوامض الكتاب وألف

ISSN : 2410-1818

كتاباً في شرح شواهده وهو كتاب تحصيل عين الذهب"، وشرح الكتاب -كما سلف- ابن الصفار وابن خروف والشلوبين (ت660هـ) وابن الضائع وابن أبي الربيع وأبو حيان وغيرهم(19).

وأحصى بعض الباحثين المحدثين من ألف على كتاب سيبويه وترجم له، منهم الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي(20)، التي تعد أكثر العلماء المحدثين تأليفاً حول كتاب سيبويه، والأستاذ عبدالسلام هارون في مقدمته لكتاب سيبويه، والدكتور محمد عبدالمطلب البكاء(21)، والأستاذ على النجدي ناصف(22). في حين ذهب الدكتور أمين السيد إلى إحصاء من ألف على كتاب سيبويه من الأندلسيين حتى نهاية القرن السابع الهجري، وذكر عشرين رجلاً، قال عنهم: "هؤلاء هم نحاة الأندلس الذين أدوا حق الكتاب، وتلك كانت مؤلفاتهم التي ذهب أكثرها مألوفاً عليه، وقد وفوا بحق هذا السفر؛ لأنه أقدم كتاب في النحو كان له الفضل على دارسي النحو عامة"(23).

وذكر الدكتور محمد عبدالمطلب البكاء أنه استطاع إحصاء رجال كتاب سيبويه الذين ألفوا عليه من الأندلسيين فوجدهم قد بلغوا ثلاثين رجلاً(24).

وقد قدم الأستاذ علي النجدي في كتابه إحصائية بعد دراسته التي أجراها عن الدراسات حول الكتاب؛ إذ يقول: "وقد رجعت إلى بغية الوعاة وكشف الظنون أتتبع دراسات الكتاب وأستوعبها إحصاء وعداً، فإذا للأندلس وما يسامتها من بر المغرب قرابة أربعين، وللعراق وما يليه قرابة خمس وعشرين ولمصر أربع لا غير"(25).

ولم يكن الكتاب مقصوراً على بغداد والأندلس بل انتقل كذلك إلى مصر، نقله الدارسون الذين وفدوا إلى بغداد والبصرة لطلب العلم، ولعل أول من نقله إليها أبو علي أحمد بن جعفر الدينوري (ت289هـ)، الذي أخذ عن المازني وحمل عنه كتاب سيبويه ثم رحل إلى بغداد فقرأه على أبي العباس المبرد، ثم قفل عائداً إلى مصر ولم يخرج منها إلا بعد مجيء علي بن سليمان الأخفش، ولكنه عاد إليها بعد خروجه- أي الأخفش- إلى بغداد، وعنه أخذ الكتاب الكثير من طلاب العلم وعلى رأسهم أبو الحسين بن ولاد (ت298هـ) الذي تشير إليه بعض الروايات أنه أول من أدخل كتاب سيبويه إلى مصر(26).

وهنا ظهر أن للكتاب أثراً كبيراً في كل النحويين الذين جاؤوا بعده، والدليل على ذلك نقلهم لكلامه واستدلالهم به في كثير من المسائل اللغوية والنحوية والصرفية، ولم يزيدوا عليه غير القليل من الشواهد أو الإيضاح والشرح.

وهذا الإعجاب والافتتان بكتاب سيبويه أعاده بعضهم إلى أن النحو قبل سيبويه لم تكن له صورة العلم ذي الأبواب والفصول والقواعد العامة، إنما كان مسائل متفرقة لا تجمعها قاعدة ولا يضمها

ISSN : 2410-1818

باب جامع، بل كانت ممتزجة بغيرها من مسائل اللغة والأدب لتفسير القرآن، وفهم أشعار العرب، فاستطاع سيبويه في كتابه أن يجمع القواعد ويرتبها ويعقد أبواباً يجمع فيها أشتاتها من المسائل النحوية، فأعد بذلك أول كتاب لتدوين النحو العربي وصل إلى الأجيال بتلك الصورة الكاملة(27).

ولم يكن استقصاء آراء العلماء في الثناء على سيبويه وكتابه هو غاية البحث، وإنما عرجت الباحثة على أهم أقوال العلماء القدامى في الكتاب وإن لم تف الكتاب وإمامه حقهما من القول.

ولا يخفى على دارسي العربية أن للكتاب نسخاً مخطوطة كثيرة نتيجة لما حظي به من عناية واهتمام، ومن هذه النسخ ما كان كاملاً، ومنها ما كان ناقصاً، وبينها القديم العتيق الخط والمستحدث، ومن أقدم نسخ الكتاب تلك النسخة التي عُثر عليها في صنعاء، حيث عُدت أقدم نسخة معروفة منه، يبلغ عمرها 1200 سنة، وهي النسخة التي قالت عنها نشرة أخبار التراث العربي(28): إن من بين الكنوز التي تزخر بها مكتبة الجامع الكبير بصنعاء أقدم نسخة مخطوطة عُرفت حتى الآن لكتاب سيبويه. وقد أحصى الأستاذ كوركيس عواد(29) نسخ الكتاب في كل من: العراق وسوريا ومصر واليمن والمملكة العربية السعودية وإيران وتركيا والهند والاتحاد السوفيتي وفي النمسا وفي فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة وغيرها من النسخ التي لا مجال لذكرها لضيق المقام.

أما طبعات الكتاب فقد طبع الكتاب لأوله مرة في باريس على يد المستشرق الفرنسي هرتوبغ درنبرغ، أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخاصة للغات الشرقية في باريس، الذي كان له فضل خروجه إلى النور، وهي طبعة في مجلدين، صدر الجزء الأول منها سنة 1881م، وصدر الجزء الثاني منها سنة 1889م(30)، وطبع بالمطابع العامة الأشرفية، وقدم له بمقدمة باللغة الفرنسية. أما الطبعة الثانية فقد صدرت في (كلكتا) في الهند سنة 1887م، وهي في مجلد واحد يضم 1104 صفحة. وصدرت الطبعة الثالثة سنة 1894م، وهي الترجمة الألمانية الكاملة لنص الكتاب الذي حققه درنبرغ. ويقال: إنها بتحقيق "يان"، وقد ألحق بها بعض التعليقات من شروح الكتاب. أما الطبعة الرابعة فهي طبعة بولاق التي صدرت في جزأين عن المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة 1900م، وعليها حاشية بشرح السيرافي وهامش من شرح الأعلم الشنتمري المسمى "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب". وهي طبعة مضبوطة بالشكل، ويذكر بروكلمان أنها أصح الطبعات(31). وأما الطبعة الخامسة فقد صدرت في بغداد، وهي طبعة تصويرية عن نسخة بولاق قام بتصويرها صاحب مكتبة المثنى ببغداد ولم يذكر تاريخ صدورها. وكانت الطبعة السادسة بتحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، التي صدر الجزء الأول منها بمصر سنة 1966م، ثم بقية الأجزاء، فجاءت في خمسة

ISSN : 2410-1818

أجزاء صادرة عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، وهي الطبعة التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة لما تتميز به من دقة في الضبط وتخريج الشواهد مذيلة بفهارس فنية حديثة(32).

أما طبعة البكاء فهي الطبعة التي عُنى بتحقيقها الأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء أستاذ النحو والصرف في جامعة الكوفة، فقد قدم لها بمقدمة نافعة ذكر فيها المسوغات التي دفعته إلى إخراج هذه الطبعة للكتاب، التي جاءت في ستة أجزاء، اشتمل التحقيق على القسم الأول من الكتاب في أربعة أجزاء، احتوى الجزء الأول على مقدمة الكتاب وإسناد الفعل، وتناول في الجزء الثاني تحقيق إسناد الاسم، وكان الجزء الثالث في الإسناد الذي بمنزلة الفعل (الحروف الخمسة، كم، النداء، النفي بلا، الاستثناء)، وتناول في الجزء الرابع أحكام الإسناد مع بدائل الاسم المظهر التام المنون. واشتمل القسم الثاني من الكتاب على أبواب الصرف والأصوات في الجزء الخامس من التحقيق. وكان الجزء السادس فهارس عامة وتفصيلية للكتاب(33).

وهناك طبعة مشوهة من كتاب سيبويه: وهي طبعة تجارية ظهرت في الأسواق من كتاب سيبويه على يد أحد تجار الكتب في بيروت، وقعت في أربعة أجزاء فقط، أما الجزء الخامس الخاص بالفهارس فقد تم حذفه، فالطبعة برمتها عبارة عن طبعة مشوهة عن طبعة الشيخ عبدالسلام هارون(34).

كما لم يحظ كتاب سيبويه باهتمام العلماء والدارسين العرب وحسب ، بل عكف على درسه واكتشاف ذخائره كثير من المستشرقين، وقد ظهر هذه الاتجاه مبكراً، والدليل على ذلك أن الكتاب نشر في باريس قبل ظهور طبعة بولاق، وأن ترجمته إلى الألمانية قد ظهرت في الوقت الذي ظهرت فيه الطبعة المصرية.

وهناك دراسات معمقة في الكتاب نهض بها عدد من هؤلاء المستشرقين عالجت نظرية سيبويه النحوية وآلياته في التحليل، ومن هؤلاء: بوهاس، وجيوم، وكيوغلى، وكارتر، وتروبو، وأونز وغيرهم.

ومن خلال تلك الدراسات تحقق لكل الباحثين أن كتاب سيبويه هو أول كتاب جامع للعربية، وأن سيبويه هو مؤسس علم النحو العربي، وواضع نظريته التي جرى عليها النحاة في درس العربية حتى اليوم(35).

أما إذا تتبعنا أقوال العلماء المحدثين في كتاب سيبويه فقد حظي الكتاب بمدائحهم، وأقيمت حوله الكثير من الدراسات والأبحاث، بحيث لم يترك الدارسون قضية من قضاياه أو مشكلة من مشاكله إلا وتناولوها بالبحث والدرس على اختلاف المناهج التي اتبعوها في دراساتهم.

ISSN : 2410-1818

وستتناول الباحثة أهم الآراء التي قيلت مذ بزوغه في ساحة الدرس النحوي الحديث في فضله ومكانته:

قال بروكلمان: "كتاب سيبويه أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة، وقد زاد المتأخرون كثيراً من تحديد مقاصد النحو، وتبين حدوده، ولكنهم لم يكادوا يضيفون إليه شيئاً ذا بال من الملاحظات الهامة والأنظار الجديدة"(36).

ويقول الأستاذ علي النجدي ناصف: "وأحسب أن لو وزن الكتاب بكتب النحو كافة لرجحها وزنا وأربى عليها قيمة، لا من الناحية التاريخية وحدها، ولكن من الناحية العلمية قبلها، ففيه كل ما فيها وزيادة من النفائس المصونة والكنوز المدخورة"(37).

ويقول الدكتور شوقي ضيف: "إن الكتاب يُعد آية خارقة من آيات العقل العربي، حتى سماه بعضهم قرآن النحو"(38).

أما الدكتور أحمد مكي الأنصاري فقد ذهب إلى القول: "أشهد أنني لم أجد ميزاناً واحداً يتسع لوزن سيبويه الضخم العملاق، وكيف تتسع له الموازين وقد طبقت شهرته الآفاق شرقاً وغرباً، عرباً وعجماً فكان ملء السمع والبصر والفؤاد في القديم وفي الحديث على السواء"(39).

إن خروج كتاب سيبويه بتلك الصورة المبهرة من استيفاء أبوابه ومسائله يؤكد أن سيبويه ألفه وهو في قمة نضجه العلمي والفكري؛ إذ ضمنه كل ما وقف عليه من مختلف الفوائد ومنثور المسائل، وما بدا له من أصول وفروع فأتى الكتاب محكما على غير مثال مستوياً على سوقه يفتن به كل من تلقفه.

أما الدكتور كمال شاهين فقد ذهب إلى القول بأن "كتاب سيبويه لم يكن أول كتاب في النحو العربي وحسب، بل كان أيضاً الكتاب الأخير"(40).

كما ذهب الدكتور أحمد بدوي إلى القول: إن كتاب سيبويه صورة لآخر ما وصل إليه التقدم العلمي في النحو في أواخر القرن الثاني الهجري، بالإضافة إلى أنه يُعد الكتاب الأول والأخير في النحو(41).

وذكر الدكتور مصطفى عبدالعزيز أن كتاب سيبويه "كان ولا يزال المرجع الأول الذي يهتدى به الباحثون في علوم النحو والصرف واللغة لما حواه من الأساليب والقواعد والشواهد والمصطلحات، والعلل، والأقيسة، والآراء التي فطن إليها بنفسه، أو رواها عن أئمة عصره وفي ذلك

ISSN : 2410-1818

أكبر دليل على ما بذله هذا الإمام من جهود جبارة، وعناية فائقة في سبيل الحفاظ على اللغة وسلامتها من الخطأ"(42).

والناظر في أول كتاب نحوي عربي وصل إلى أيدي الدارسين تروعه صورة الكمال التي برز بها، وإحكام التبويب الذي ظهر به، وتناسق الصورة التي خرجها عليها؛ إذ اشتمل على جميع أبواب النحو والصرف والكثير من المسائل في أصول اللغة ومعانيها وأصواتها وقراءتها، ولم يترك إلا بعضاً من المسائل المتفرقة في الحدود وترتيب المادة العلمية وجد فيها المتأخر ضالته وقال فيها مقالته.

ومع ذلك لا يمكن أن يُعد كتاب سيبويه بداية النحو العربي؛ لأنه لا يمثل المرحلة الأولى منه، بل يمثل مرحلة تالية لبدايات النشأة هي مرحلة النضج والتصنيف العلمي. كما أن قيام سيبويه بتأسيس نظامه النحوي مستخدما منهجاً يختلف كلية عن منهج النحاة الذين جاؤوا من بعده جعل من كتابه عملاً فريداً في الإبداع والأصالة والفهم(43).

وبعد هذه السطور رأت الباحثة أن تتناول حقيقة مكانة كتاب سيبويه وقيمته العلمية، فلا خلاف بين النحاة قديما وحديثاً في عده أول كتاب في علم النحو العربي وصل إلى الأجيال، شمل كل أبواب النحو وموضوعاته، لكن الخلاف في عده كتاباً تعليميا وضع من أجل تعليم العربية من لا يتقنها.

المبحث الثاني :علمية كتاب سيبويه

ذهب معظم الدارسين(44) المعاصرين إلى أن النحو نشأ لمواجهة ظاهرة اللحن كما نقلت الروايات، وهذا الأمر هو الشائع المشهور بين الدارسين، ويُعد الربط بين اللحن ونشأة النحو أمراً متوارثاً ساد منذ قرون طويلة امتدت إلى يومنا هذا، وهي قناعة مستمدة من الإيمان العميق بالعلاقة الوثيقة بين اللحن ونشأة النحو التي سردتها الروايات التي توحي بسيطرة فكرة أن اللحن السبب الرئيس في نشأة علم النحو ومن ثم فإن علم النحو نشأ نشأة تعليمية.

وقد تطرق بعض الدارسين إلى نفي كون اللحن السبب المباشر لوضع النحو، وفي هذا الصدد رفض الدكتور علي أبو المكارم "أن يكون ظهور اللحن أو شيوعه هو السبب الأساسي في نشأة الدراسات النحوية وإلا لظهرت محاولات نحوية أو قضايا تتصل بظواهر اللغة التركيبة في العصر الجاهلي أو في عهد النبي (ص) وأبي بكر وعمر، وهو ما يؤكد على وجود اللحن منذ العصر الجاهلي وبدايات صدر الإسلام وإن عُد قليلاً "(45).

وأكد الدكتور عصام نور الدين "أن نشأة النحو لم تكن رداً على انتشار اللحن بين الشعوب غير العربية، وحتى بين العرب أنفسهم، بل السبب الحقيقي لنشأة النحو إنما هو السعي لفهم النص

ISSN : 2410-1818

القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنظم الحياة، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص وعلم يسعى لحفظه من اللحن"(46).

وليس من غرض البحث إحصاء أقوال الدارسين في هذا الأمر ودراستها وإن اختلفت، فالحاجة إلى وضع علم النحو قد تضافرت لها عوامل عديدة، كان من أهمها فهم النص القرآني واستنباط أحكامه لإقامة أسس تشريعات المجتمع الإسلامي الجديد، ولذلك سعى العلماء إلى وضع علم النحو الذي كان نتيجة من نتائج تفتح القريحة العربية في بدايات نشأة العلوم الإسلامية.

كما ساد الاعتقاد بين الدارسين(47) أن النحو العربي منذ ظهور أول كتاب فيه نشأ لغاية تعليمية غير أن عدداً لا بأس به من الباحثين(48) نبهوا على خطأ هذا الاعتقاد، فليس في الكتاب ما يدل على ذلك الأمر من قريب أو بعيد؛ لأن وضع المؤلفات للغاية التعليمية إنما جاءت في العصور التالية لظهور الكتاب، ولا سيما منذ أواخر القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع وما بعدها (49).

فقد تداول العرب في الجاهلية وصدر الإسلام اللغة سليقة وسجية، ولم يكونوا في حاجة إلى قواعد تضبط ألسنتهم أو يتعرفون بها على الأساليب اللغوية الفصيحة، بل لقد كان اعتمادهم في نطق اللغة واستعمالها على الفطرة السليمة حيث يشب الناشئ منهم على سجّية ويُطبع بها لسانه، فتجود قريحته بالتركيب السليم والعبارة الصحيحة في أعلى مستويات الفصاحة دون حاجة إلى تعلمها.

كما رأى أولئك الباحثون أن النحو العربي في مصنفاته الأولى كالكتاب والمقضب والأصول في النحو تختلف اختلافا جلياً عنه في مصنفات المتأخرين من النحاة كشروح الألفية وما جاء بعدها من مؤلفات كالمتون والمنظومات والشروح والمختصرات والحواشي. حيث تختلف اختلافا جذريا في طبيعة العلم وقضاياه وأساليب العرض والتحليل. وعليه فإن المتأمل في كتاب سيبويه يجد صورة مختلفة لقضايا النحو وطبيعة عرضها وتناولها وهي صورة لا توحي بأنه مؤلف قصد به مؤلفه تعليم العربية لغير العرب من الأمم التي دخلت الإسلام، وإنما هو كتاب في الأسس المعرفية للنظرية النحوية العربية؛ لأنه -كما يرى الغربيون أمثال تشومسكي- كتاب يبحث في "النظام الذهني" اللغوي عند الجماعة اللغوية المتكلمة بالعربية، أي إنه بحث في اللغة مقابل الكلام كما يرى دي سوسير(50).

وقد أكد الباحثون على الاختلاف الكبير بين النحو الذي دونه سيبويه في كتابه وبين النحو الذي جاء في مؤلفات النحاة المتأخرين؛ إذ يقول الدكتور حسن عون: "إننا نظلم الكتاب حين نعتبره كتاباً في النحو فقط، كما إننا نظلم النحو نفسه حينما نفهمه بذلك المعنى الضيق الذي يتعارف عليه الناس في عصرنا هذا... فكتاب سيبويه إذن يمثل النحو في شبابه الزاهر، ويرويه لنا في صُوره الخصبة الأولى"(51).

ISSN : 2410-1818

وذهب الدكتور عبده الراجحي إلى القول ذاته مؤكداً أن "القضية الأساسية في فهم النحو العربي ألا نتصور أن النحو العربي هو مجرد هذه الشروح المتأخرة، وكتب الألغاز أو كتب الأحاجي النحوية أو كتب الحواشي والتعليقات والشروح والهوامش... ولكن النحو العربي كما تمثل لدينا هو ذلك النحو الذي نشأ في الفترة الحيوية من الفكر العربي الإسلامي في القرن الثاني للهجرة كما وصل إلينا متمثلاً في كتاب سيبويه، وهذه الفترة بالذات هي التي تمثل لنا تصوراً حقيقياً لمنهج التفكير العلمي أو البحث عند العرب، وعلى هذا الأساس أقول: إننا لا نستطيع أن نتخيل أن النحو العربي يمكن أن يدرس بمعزل عن الفكر أو الجو العقلي العام الذي كان موجوداً في هذه الفترة- فترة نشأة العلوم الإسلامية، هذه القضية يمكن أن توصلنا إلى حد ما إلى طبيعة النحو العربي"(52).

ويرى الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح "أن الغاية الأولى الأساسية التي كان يقصدها الواضعون للنحو هو أن يكون لغير المتقنين للعربية من أبناء العرب والمسلمين وغيرهم مجموعة من الأصول اللغوية والضوابط النحوية يرجعون إليها لا كطريقة لإكساب الملكة، بل كمرجع من الضوابط لم يسبق أن جُمع وأُلف من ذي قبل، فكان من الضروري جداً أن تكون للعربية مدونة من القواعد المحررة تستخرج من كلام العرب، وهذا العمل لا يمكن أن يكون إلا علميا"(53).

وما يؤكده الباحثون يفضي إلى أن النحو نشأ نشأه علمية لا تعليمية، والدليل على ذلك أن العصر الذي بدأ فيه هذا العلم بالتشكل حتى وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال على يدي الخليل وسيبويه، هو عصر لم يُحتج فيه إلى تعلم العربية وتعليمها؛ لأنه يقع ضمن عصور الملكة اللسانية التي يحتج بلغتها في الوقت الذي صارت تسمى فيما بعده بعصور الاحتجاج اللغوي. وهو ما تؤكده الدكتورة خديجة الحديثي بقولها: "لم يكن العرب في جاهليتهم وفي جزيرتهم بحاجة إلى من يلقنهم أصول لغتهم وقواعدها؛ لأنهم كانوا يتكلمون بما تمليه عليهم سليقتهم وطبيعتهم وبيئتهم ومحيطهم"(54).

كما أن لتعلم النحو في العصور اللاحقة وتقدم الزمن وبعده عن النماذج اللغوية الفصيحة حاجة دعت إليها الضرورة الناتجة عن المستجدات في حياة الأمة الإسلامية في هذه الفترة؛ ولذلك يقول الدكتور محمد ربيع: "وكان لا بد من ظهور نموذج نحوي مناسب... وكان لا مفر من أحد خيارين: إما أن يظهر نموذج جديد ينبني على أسس مختلفة وإما أن يتبدل النموذج القديم ويتحور؛ ليفي في نهاية المطاف بما يحتاج إليه في الحقل المعرفي في العصر المتأخر والذي حصل في الحقل النحوي هو الخيار الثاني كما هو واضح، إذ طور النحاة في مؤلفاتهم ما خلفه لهم الخليل وسيبويه، وأدخلوا فيه بالتدريج ما يخرجه من إطاره العلمي الصرف إلى إطار يمتزج فيه البعد العلمي بالبعد التعليمي"(55).

ISSN : 2410-1818

كما يرى أيضاً أن لشيوع ذلك الاعتقاد بين الدارسين أن النحو نشأ لغاية تعليمية سببين رئيسين: أحدهما: تلك المؤلفات المتأخرة التي توهم بأنها امتداد للنحو في الكتاب بلا فرق، ثانيهما: شيوع تلك المرويات عن نشأة النحو(56).

وتتفق الباحثة مع الدكتور محمد ربيع فيما ذهب إليه، فكتاب سيبويه ليس كتابا تعليمياً؛ لأن كل ما فيه يمثل أساس النظرية النحوية العلمية، وعليه لا بد من إيضاح الفرق بين النحو العلمي الذي جاء في ثنايا كتاب سيبويه والنحو التعليمي الذي جاء في المؤلفات من بعده، فالدكتور تمام حسان يقول: "التفريق هنا بين نحو تعليمي وآخر علمي تفريق تقضي به طبيعة اختلاف المنهج بينهما، فالنحو التعليمي يعطي القواعد ويحتم مراعاتها، والنحو العلمي يستقرئ الأمثلة ويستنبط منها القواعد، فالأول قياسي والثاني استقرائي، والأول معياري والثاني وصفي، والأول قاعدة والثاني بحث يسجل وصف اللغة أثناء عملها في مرحلة من مراحل وجودها"(57).

فالنحو العلمي يقوم على نظرية لغوية تنشد الدقة في الوصف والتفسير وتتخذ لتحقيق هذا الهدف أدق المناهج، فهو نحو تخصصي ينبغي أن يكون عميقاً مجرداً، يدرس لذاته، وتلك طبيعته. أما النحو التعليمي فيمثل المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان وسلامة الخطاب وأداء الغرض، وهو يركز على أهداف المتعلم الذي يختار المادة المناسبة الذي يقدمها النحو العلمي، ثم يكيفها تكييفاً محكماً طبقاً لأهداف التعليم(58).

وذهب الدكتور محمود فهمي حجازي إلى القول: "الكتب التعليمية: كتب موجزة واضحة الشواهد شاملة لكل الأبواب في عرض سهل وعبارة واضحة"(59). وتعود بداية هذا النمط في التأليف إلى القرن الرابع الهجري، حيث اتجه العلماء اتجاهاً جديداً في تأليفهم، وأول هذه الكتب الجمل للزجاجي (ت337هـ) وألف ابن السراج (ت316هـ) كتاباً تعليمياً بعنوان "الموجز في النحو"(60).

كما ذهب بعضهم إلى أن النحو العلمي هو الجزء الأهم في حفظ اللغة الناضجة التي وصلت إلى الأجيال، وهو في وجوده الأول يكاد يكون طبيعياً خالياً من التعقيد شأنه في ذلك شأن النحو التعليمي أو العملي- كما أُطلق عليه- إلا أنه تطور بما تأثر به أصحابه في دراسة العلوم. أما النحو العملي أو التعليمي فهو جزء مهم من اللغة ومرحلة أساسية في مراحل إنضاجها، وهو في وجوده الأول طبيعي خالٍ من التعقيد؛ إذ إن الغاية منه هي تنظيم القواعد الخاصة بالنطق لتحسين طرائق التعبير(61).

وقد تطرق الدكتور حسن عون في حديثه عن نشأة النحو إلى التفريق بين نحوين أطلق على أولهما النحو الفني ويقصد به إعراب المتكلمين باللغة لاستعمالاتهم اللغوية، والآخر أو التالي النحو العلمي وهو المقصود في هذه السطور، حيث يقول: "مما لا شك فيه أن النحو العربي كغيره من سائر

ISSN : 2410-1818

العلوم الأخرى؛ قد نشأ فناً قبل أن يكون علماً، أي إن هذه الطرق الخاصة للأداء في اللغة العربية قد التزمت باطراد في تراكيبها وأساليبها، ومرنت عليها ألسنة العرب، وتمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية المجردة وضعاً علمياً وتدرس دراسة مستقلة لتعرف وتحتذى. وإذن فنحن أمام نحوين إن صح هذا التعبير: نحو فني؛ ونحو علمي"(62).

إن الأخبار التي تناولتها الكتب عن أمر تفشي اللحن ووصوله إلى آيات الذكر الحكيم لها دلالة تؤكد دور القرآن الكريم في الحض على وضع النحو علماً بعد أن كانت العرب تمارسه سليقة، فالسليقة اللغوية عند العرب كانت معتمد النحاة الأوائل في تعقيد القواعد.

يقول الدكتور حسن خميس الملخ: "عندما ظهر كتاب سيبويه قبيل أفول القرن الثاني الهجري تجربة عملاقة في التفكير النحوي والصرفي والصوتي أدرك النحاة آنذاك أنه كتاب في تعليم التفكير العلمي في اللغة عدا تعليم قواعد اللغة..."(63).

كما يرى أن اهتمام النحاة بالجوانب التعليمية من أهم الأسباب التي حالت دون فصل نظرية النحو عن النحو وعدم التمييز بينهما(64). مؤكداً "أن جمع سيبويه بين النحو ونظريته أمر طبيعي؛ لأنه التجربة الناضجة الأولى، ولكن النحاة بعده استثمروه لأهدافهم التعليمية فنمت جوانب كتاب سيبويه التعليمية في المؤلفات اللاحقة به بعده، في حين بقيت الخطوط النظرية تتضاءل شيئاً فشيئاً، فلم ينجح النحاة في استخلاص نظرية للنحو بعد كتاب سيبويه"(65).

ولكن يمكن التفريق بين ما هو علمي وتعليمي؛ ولذلك يجب أن يتم استيعاب الفرق بين القاعدة والتعقيد. "فالقاعدة النحوية جزء من النسيج اللغوي وهو الجزء الضابط لخواصها"(66)، ولا يمكن تيسيرها بالحذف أو الإهمال؛ لأنها تسري في جسم اللغة، ولا يمكن الاستغناء عن بعض جوانبها(67). في حين أن التقعيد هو وسيلة إنتاج القاعدة وتفسيرها بعيداً عن القاعدة، فمثلاً الفاعل مرفوع وكل قول يبتعد عن هذه القاعدة بالتعليل أو التفسير يُعد من باب التقعيد. إذن التقعيد هو: "الجانب النظري- في الموروث النحوي- من السماع والقياس"(68)، وهو ما اشتمل عليه كتاب سيبويه بالإضافة إلى القواعد التي تعد في مجموعها ما يمكن تسميته بالنحو.

ويرى الدكتور عبدالكريم خليفة أن مشكلة المتعاملين مع علم النحو هي أنهم لم يفرقوا بصورة واضحة بين المصنفات التعليمية التي تهدف إلى تعليم اللغة العربية وتيسيرها وبين المصنفات التي تهدف إلى التعمق في علم النحو (69).

إن النحو الذي أسس له سيبويه في كتابه نحو وصفي غايته الكشف عن طاقات اللغة وإمكاناتها وتأسيس ملكة تقوم بمهمة صون اللسان عن الخروج عن مستوى الصواب الذي يتوافق مع

ISSN : 2410-1818

احتمالات اللغة أي إنه جمع بين القواعد وإطارها النظري الذي يُمكن من القول بأنه جمع بين النحو وأصول نظريته؛ ولذلك فهو كتاب علمي.

ويقول الدكتور محمد سعيد الغامدي: "إن النحو على أيدي أوائل النحاة قد قام على دراسة العربية دراسة علمية بالوصول إلى القواعد الذهنية المنتظمة في عقول الجماعة اللغوية المتكلمة بالعربية، فإن متأخريهم مالوا بالدرس النحوي العلمي إلى اتجاه آخر، هو تعليم العربية لمن لا يجيد التحدث بها. فالنحو في صورته المتقدمة يمكن تسميته بنحو العلماء أما في صورته المتأخرة فهو نحو المعلمين..."(70).

وتحدث الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح عن كتاب سيبويه ومنهجه كلاماً طويلاً يمكن تلخيص أهم ما جاء فيه، فهو يرى أن كتاب سيبويه محتوى للنحو العربي فهو يعرض القواعد النحوية في أسلوب تحليلي علمي؛ "لأنه دراسة موضوعية لمجاري كلام العرب"، ومحاولة لوضع ضوابط دقيقة لتلك المجاري، وهذا الأمر يقتضى النظر في المادة النحوية بعد حصرها وتبويبها واستنباط ما يطرد منها وما يشذ عنها بغية الوصول إلى حقائق علمية(71).

وذكر أن ما يميز المنهج الذي نهجه سيبويه في دراسته للغة أنه نظر للغة واستخرج ظواهرها كما سمعها عن العرب، أي أنه ركز اهتمامه على لغة حية مستعملة ناظراً في أصواتها ومخارجها، وبالمقابل تطرق لما يمكن صوغه من وحدات لغوية لضبط تلك القواعد وهو ما سُمي بالحدود وإن كانت في بعضها يشوبها النقص، وهذا الأمر الذي سبق إليه أوائل النحاة "لم يستطع أي جيل من العلماء العرب إلى غاية الآن أن يجمع بينهما، أي بين النظر في اللغة كظواهر والنظر فيها كنظام ضوابط"(72).

كما أكد أن العلماء في القرن العشرين في علم اللسانيات في الشرق والغرب قد عجزوا "عن إعطاء كلا الجانبين حقه من الاعتبار والأهمية في الدراسة العلمية، فهذا الاهتمام لم يحصل إلا قديماً في عهد الخليل وسيبويه"(73).

إن نحو سيبويه قائم على سرد المسائل والأبواب النحوية وعدها موضوعات قائمة بنفسها صاغ في سياقاتها إطارها النظري مع الأمثلة المتعددة لكل قاعدة نحوية. أما الشكل الذي شاع واستقر في كتب النحاة من بعده فهو ما يمكن تسميته بنحو القاعدة، ويقصد به تقديم القاعدة النحوية مع شرح وتحليل وأمثلة وشواهد وتعليلات يؤدي فهمها إلى الاستعمال الصحيح للغة العربية من الناحية النحوية نتيجة للغاية التعليمية المقصودة من التأليف بهذه الصورة(74).

ونظرة عجلي لكتاب سيبويه تكفي اللبيب للتدليل على أنه كتاب علمي نظري أكثر منه تعليمي؛ لأن تناول سيبويه للنحو يتم في إطار مجموعة أسس وأحكام استخدمها في صياغة نظرية نحوية محكمة ومتناسقة.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: أهمية كتاب سيبويه

تحدث الدكتور حمزة المزيني عن الصلة بين بحوث جيل النحاة الأوائل وبحوث اللسانيين المحدثين، ولا سيما المدرسة التوليدية، مؤكداً على أن "الصورة التي يمثلها كتاب سيبويه هي الدليل الأوضح على أن النحو العربي في بداياته لم يكن معيارياً خالصاً، بل كان ألصق ما يكون بالتنظير اللساني الحديث... وقد اكتشف المتخصصون في اللسانيات الحديثة، ولا سيما في إطار اللسانيات التوليدية، هذا الغنى النظري في النحو العربي المبكر، وهو ما دعا هؤلاء إلى القول بأن النحو العربي في صورته تلك يتشابه مع الدراسات اللسانية الحديثة، إن لم يتماثل معها في الأهداف وفي طريقة البحث والوصف والتفسير"(75).

وقد رأى عدد من الباحثين(76) ذلك التماثل والتشابه الذي يزخر به النحو العربي من خلال دراساتهم وبنوا على إثرها ذلك التقارب بين اللسانيات الحديثة وعلم النحو الذي جاء في الكتاب. يقول الدكتور ميشال زكريا: "وما يشجعنا في نهجنا هذا، هو أن اللغويين الأوائل أمثال الخليل وسيبويه... قد حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جداً بالنسبة لعصرهم مما يبين لنا أن المفاهيم الألسنية المتطورة ليست دخيلة على التراث اللغوي العربي"(77).

ويقول آخر: "ويعد كتاب سيبويه أول مؤلف وصلنا كاملا، وأنه بحق أول كتاب يحلل اللغة العربية تحليلا وصفيا بعيدا عن كل معيارية، فهو يدرس الظواهر اللسانية، ويحللها مبرزاً فيها ما يرقى إلى الدرجة النحوية العليا، وما يسفل إلى درجة القبح، ولم يكن في تحليله يفصل بين الإعراب والمعنى سواء أكان لهذا المعنى علاقة بالتركيب أم علاقة بالمقام، والتركيب الذي يتناقض مع المعنى يُعد في درجة المستقيم المحال"(78).

لقد ساهم العديد من الباحثين العرب والغربيين على حد سواء في دراسة الكتاب لمحاولة إظهار ما فيه من خصائص ومبادئ تتوافق مع مبادئ اللسانيات الغربية الحديثة وهو ما يجعل الكتاب متميزاً علمياً وتحليلاً واستدلالاً.

ومن أهم الباحثين اللغويين المعاصرين المعنيين بنحو سيبويه من الغربيين الباحث كارتر الذي عُنى بكتاب سيبويه، وأقام حوله العديد من الدراسات القيمة، ومن أهمها أطروحته "مبادئ التحليل النحوي عند سيبويه" وبحثه: سيبويه وعلم اللغة الحديث(79). ومنهم أيضاً أولركه موزل في أطروحتها "المصطلح النحوي عند سيبويه". وقد خلصا معاً إلى أن منهج التحليل عند سيبويه هو منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة(80).

ISSN : 2410-1818

وكذلك جوناتان أوينز في كتابه "النظرية العربية النحوية المبكرة: التنوع والتوحد. وقد تعرض فيه في الفصل الرابع لمنهج سيبويه وقارنه بمنهج المدرسة البنيوية الأمريكية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، في الوقت الذي لم يكن هذا المنهج معلناً عند سيبويه، "لكن كتابه كان نتيجة لمنهج محدد يمكن اكتشافه، ومن وجوه هذا المنهج استعمال سيبويه لفكرة "التبادل" التي استعملها لتحديد الوظيفة النحوية وتوزيع الكلمات واكتشاف أصح الأشكال للكلمة وتحديد المعنى ثم إعطاء الأمثلة الدالة على ذلك، بالإضافة إلى استعماله لبعض الطرق المنهجية الأخرى، مثل: استعمال الدليل السلبي والتصنيف والتبادل القياسي واستعمال الأمثلة الممثلة لغيرها واستعمال الأصل وغيرها"(81).

وهؤلاء وغيرهم من الذين درسوا الكتاب قد اتفقوا على أن في الكتاب ملامح مناهج اللسانيات الحديثة بنظرياتها ومبادئها وأصول تفكيرها؛ ولذلك اكتشف مايكل كارثر نقاط اتفاق واسعة بين منهج سيبويه في كتابه ومناهج البنيويين في القرن العشرين ولا سيما سوسير وبلومفيلد ومارتينه، ومن أهم هذه النقاط:

-معالجة سيبويه للغة من حيث هي سلوك إنساني يحدث بين متكلم وسامع في موقف محدد، ومن حيث إن السلوك اللغوي قرين السلوك الاجتماعي وهو أمر ظاهر في استخدامه للعديد من المصطلحات الأخلاقية، مثل: حسن وقبيح وكذب ومستقيم ومحال، وهي من آثار معرفته بعلوم الشريعة التي تلقاها في بداية دراسته.

-استخدامه لبعض الآليات التحليلية عند البنيويين، ومنها ما يتصل بالموضع والمنزلة.

وقد استخرج كارتر من الكتاب سبعين قسماً وظيفياً نحو: الابتداء والإسناد والإضافة والوصف والنعت والندبة والنداء والقسم والاستثناء...إلخ، ووضعها في قوائم تضم وظائف تعبر عن غرض المتكلم ووظائف أخرى يعمل فيها عنصر من عناصر الكلام في عنصر آخر؛ ووظائف تعبر عن غرض المتكلم(82).

كما ظهر اتفاق كبير بين سيبويه وسوسير في أهمية العلاقات الأفقية والرأسية التي عُني بها كلاهما واستخدامها في كل مستويات التحليل اللغوي، وهذه الآلية واضحة جداً في تحليل العلاقات الأفقية التي تظهر فيها عناصر الكلام من تضام أو تآلف ومن رتبة ومطابقة...إلخ، وفي آلية الاستبدال القائم على حلول بنية محل بنية أخرى أو تركيب محل تركيب آخر، والاستبدال من العلاقات الرأسية(83).

ISSN : 2410-1818

ومن البحوث اللغوية الحديثة التي دارت حول التداولية، والتداولية من المناهج الحديثة في دراسة اللغة تسعى إلى "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي"(84). والمهمة الكبرى للتداولية أنها تدرس البنية اللغوية في استعمالها في المواقف المختلفة بوصفها كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدد، بلفظ محدد في موقف تواصلي محدد لتحقيق غرض محدد. وقد تبين لكارتر وغيره من اللغويين المحدثين عرباً وأجانب(85) أن سيبويه تنبه إلى عناصر هذا المفهوم عندما أقام درسه على بنية اللغة المستعملة المتداولة بين الجماعات اللغوية، بالإضافة إلى أن كارتر عقد مقابلة(86) بين سيبويه وجريس تؤكد عدداً من نقاط التلاقي بينهما لا مجال لحصرها في هذه العجالة.

كما لا يخفى على عالم أن بظهور نظرية النحو التحويلية- التوليدية على يد تشومسكى دأبت جهود الباحثين على البحث لمعرفة نقاط التلاقي بينها وبين النحو العربي، وذهبوا إلى أنها تلتقى مع النحو العربي في عناصر عديدة كالحذف والتعويض والتوسع والاختصار والترتيب والتقديم والتأخير(87).

وقد وجد الباحثون هذه العناصر متوافرة في الكتاب وتحدث بعضهم عن أمثلة التحويل عند سيبويه، مثل: التحول في بناء الفعل للفاعل إلى بنائه للمفعول وإلى النقل عن الفاعل والمفعول والمبتدأ في باب التمييز، مثل قولهم: فاض الإناء ماء وفجرنا الأرض عيونا والتحويل من المصدر المؤول إلى المصدر الصريح...(88).

لقد أدرك سيبويه العلاقات التحويلية وإن كانت غير مقصودة لذاتها كما أن هناك العديد من القضايا اللغوية التي يتوافق فيها النحو العربي مع التوليدية التحويلية، ومن أهمها قضية العامل التي لاقت نقداً عنيفاً من الوصفيين؛ لأنها على حد قولهم تؤدي إلى قضية التقدير، لكن النحو التحويلي عاد ليقررها في منهجه، بل إن التحويليين يرون أن: "هناك قواعد نظمية كلية يمكن أن تفهم على ضوئها الظواهر المشتركة في اللغات، ومنها ظواهر الحذف والزيادة وتغيير الترتيب"(89). والمتأمل في كتاب سيبويه يظهر له أثر هذه النظرية فيه، فالعامل والمعمول وحدة لسانية لا يمكن تجزئتها في النحو العربي بعامة ونحو سيبويه بخاصة.

وهناك الكثير من الأقوال في مظاهر التوافق ونقاط التماثل بين نحو سيبويه واللسانيات الحديثة، ولكن يظل ضيق المقام حائلاً عن استيفائها وتكتفي الباحثة بما ذهب إليه كارتر، حيث يقول: "ولا زال هناك الكثير الذي ينبغي أن يقال عن سيبويه ومكانته في تاريخ اللسانيات، لذا يجب أن ينظر إلى هذه الدراسة على أنها دعوة لاتخاذ موقف محدد من القضية تصدر عن شخص يرى لو أن سيبويه كان قد ولد في عصرنا لوجد لنفسه مكاناً بين دي سوسير وبلومفيلد"(90).

ISSN : 2410-1818

إن النحو العربي ظهر بعد أن اجتمعت المقدمات الضرورية لظهوره، عندما استشعر العلماء ضرورة تقعيد اللغة العربية وجعلوا من عملية وضع القواعد مشكلة تستدعي الحل العلمي الناجح؛ لأن اللغة العربية ركن من أركان الأمة العربية الإسلامية، فحدد النحاة خطوات تلك العملية بتحديد العينة المدروسة وقاموا باستقراء علمي يدرس النصوص التي تصلح لاستخلاص القواعد منها بأساليب التحليل العلمي، وصياغة القواعد والقوانين اللغوية، والتي تعنى أن البحث في التفكير العلمي عند سيبويه، إنما هو بحث في منهجيته العلمية وفلسفته المعرفية، في إدراك المنطلقات التأسيسية وأسسه المنهجية في عملية التقعيد للغة ووضع قواعدها(91).

"فسيبويه في منهجه لم يكن معياريا صرفا، ولا وصفيا صرفا، ولكنه حصيفا ذكيا أدرك أن الوصف والمعيار لا ينفصلان، فاللغة لها وصفان: وصف اجتماعي يمثله الاستعمال الحقيقي لها، بكل تبدلاته النحوية والصرفية والصوتية والمعجمية، ووصف رياضي تمثله المعايير المجردة والقواعد الثابتة التي بين أجزاء الكلم بنية وتركيباً"(92).

إن العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي ومن تبعه من النحاة في ضبط النص القرآني كان عملاً وصفياً؛ لأنه قائم على الملاحظة المباشرة لقراءة النص. كما أن الأحكام النحوية التي قررها النحاة الأوائل تقوم على الوصف. والمتتبع للكتاب يرى أن سيبويه قد أقام قواعده في أغلبها على الاستعمال اللغوي مقرراً أجرأ أحكامه على ما استعملته العرب وجرى في كلامها، فهو يقول: "فليس لك في هذه الأشياء إلا أن تجريها على ما أجروها ولا يجوز لك أن تريد بالحرف غير ما أرادوا"(93).

ويقول الدكتور عبده الراجحي: "إن الاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي كما ذكرنا، وقد كان أيضاً أصلاً من أصول النحو العربي نتيجة "لطبيعة الحياة العربية ولطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية، وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في تناول كثير من ظواهر اللغة"(94).

إن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة في أثناء الاستعمال منذ بدايته، ويؤكد هذا القول ما ذكره السيوطي(95) في اللغة بأنها تؤخذ استعمالاً لا قاعدة وعده ما نطقت به العرب الأصل في كل ظاهرة لغوية. ويظهر في هذا الأمر قيمة الاستعمال وما تتداوله العرب في اللغة وأهميته في تحديد أساليبها وطرق أدائها. وكل هذه المسائل مما يؤكد على أن الكتاب هو محور النظرية النحوية العلمية.

كما أن علم النحو العربي انطلق من نص واحد واضح المعالم لتقعد قواعده على وفق هذا النص، فالقرآن الكريم نص عربي كلماته عربية وضعا واستعمالاً وهو مطرد في إعرابه وإن اشتمل

ISSN : 2410-1818

على بعض الظواهر التركيبية غيره المطردة من مثل لغة أكلوني البراغيث، إلا أنه نزل بلسان العرب فاشتمل على كل ظواهره.

فسيبويه في كتابه نهج منهجاً علمياً دقيقاً يبتدأ باستقراء المادة اللغوية، ثم تحليل تلك المادة بمكوناتها التفصيلية، ثم التفسير لكل ما تشابه منها أو اختلف وصولاً إلى النتائج أو إلى ما يمكن تسميته بأسس النظرية النحوية وأصولها كما جاءت عن العرب. يقول سيبويه: "فاستعمل من هذا ما استعملت العرب، وأجز منه ما أجازوا"(96). كما "أن المنهجية العلمية في التفكير يمكن أن تكون إدراكاً سابقاً على التنظير له"(97). ولذلك فقد رأى الدكتور المزيني أن سيبويه كان هدفه في كتابه صوغ نظرية متماسكة للغة العربية، واستشهد بالكثير من الشواهد لتدعيم ذلك التنظير(98).

ويرى بعض العلماء(99) المحدثين أن بنية التفكير العلمي تمر بمراحل هرمية قاعدتها الاستقراء وواسطتها أساليب التحليل وذروتها التفسير، بالإضافة إلى أنهم يرون أن العلم المضبوط أو المنحى العلمي في العلوم لا بد أن تكون له خصائص تكون مناط التفريق بينه وبين ما لا يمكن عده في هذا الإطار. وقد رأى الدكتور تمام حسان(100) أن أهم خصائص العلم هي:

1. الموضوعية التي تتحقق بالاستقراء الناقص، ثم ضبط نتائجه.
2. الشمول بالاتكاء على مبدأ الحتمية في التعميم، ثم تجريد الثوابت على شكل قوانين وقواعد تنتج المتغيرات والمقصود بالحتمية القياس.
3. التماسك بأن يكون بين عناصر الموضوع المدروس ترابط عضوي يتمثل بعدم التناقض فلا تطعن نتيجة بأخرى، وبالتصنيف للسيطرة على مفردات العلم.
4. الاقتصاد والمقصود بأن تستغنى بالأصناف عن المفردات، وبأن تقصد القاعدة كل الجزئيات التي تنطبق عليها.

وهذه الخصائص لمن يُمعن النظر فيها يجد أن الكتاب قد اشتمل عليها بلا تناقض؛ ولذلك عَّد الدكتور تمام النحو علماً وقال في تعريفه: إنه صناعة علمية(101).

والخطوة الثانية في عملية تأصيل نظرية النحو العربي هي التحليل بعد عملية الاستقراء التي دامت وقتاً طويلاً، ولكن جلها كان منذ بدايات القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن الثاني الهجري، وكان تنظيم المادة اللغوية الخطوة الأولى لبناء منظومة نحوية متكاملة، في حين كانت الخطوة الثانية هي تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام: الاسم والفعل والحرف؛ لأنها مبنية على أساسين الأول: المعنى، والثاني: الزمن، لاشتراك الفعل والاسم في المعنى فكان الزمن هو الهيئة المخصوصة لإزالة الاشتراك، في حين بقى الحرف خالياً منهما سواء كان منفرداً أم مجتمعاً مع غيره في السياقات اللغوية (102).

ISSN : 2410-1818

أما تقنين العلامات فقد ذكره سيبويه في مقدمه كتابه بقوله: "هذا باب مجارى أواخر الكلام في العربية وهي تجرى على ثمانية مجارٍ: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم والجزم والوقف، وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل- وليس شيءٍ منها إلا وهو يزول عنه- وبين ما يُبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب"(103).

والملاحظ في هذا النص أن سيبويه وقف فيه على جملة من الأطر العلمية المؤدية إلى ضبط العلامات في العربية، كموقع العلامة وسبب اختلافها في الموقع وعلاقتها بما قبلها مفرقاً أيضاً بين العلامة المتغيرة والعلامة اللازمة وتأثرها وتأثيرها في السياق اللغوي موضحاً العلامات الأصلية الكسرة والفتحة والضمة والسكون التي تدل على حالات الإعراب الجر والرفع والنصب والجزم عند التأثر بعنصر مؤثر في السياق وهو ما سماه بالعامل، وهي العلامات نفسها علامات بناء عند عدم التأثر بعنصر العامل، وكل ما ذهب إليه في هذا النص يعد جزءاً من الإطار النظري لنظرية النحو العربي.

وإذا كانت الخصائص(104) التي ذهب إلى استنتاجها الباحثون دلالة على علمية أي محتوى تتضمنه فقد كان لكتاب سيبويه النصيب الأكبر من هذه الخصائص، فعندما يقال: إن كتاب سيبويه تضمن أقوال سالفيه من النحاة وأبحاثهم في التقعيد للغة وأقواله التي توصل إليها من خلال دراسته وأبحاثه، فهذا الأمر يؤكد أن المادة العلمية التي يحتويها هي أسس النظرية العلمية في النحو العربي؛ لأن التأليف العلمي أو التفكير العلمي من أهم سماته "التراكمية"(105).

كما أن المعرفة العلمية التي اكتسبها سيبويه ممن سبقوه اتخذت شكل التراكم، أي إنه أضاف إليها بأسلوبه كل ما توصل إليه من أفكار وروئ ونتائج بحثه عن الظواهر اللغوية والنحوية واستقرائه لكلام العرب أوصله إلى الكثير من المسائل التي لم يصل إليها السابقون.

أما مسألة التنظيم الذى عدها العلماء سمة من سمات العلم(106) أو التفكير العلمي فمن الواضح أن كتاب سيبويه منذ بدايته حتى نهايته يسير على وفق ترتيب وتنظيم معين اختطه سيبويه دون سابقة في ترتيب أبوابه ومادته العلمية، وأهم ما يمكن ذكره في هذا الأمر أنه جعل كتابه على قسمين، الأول: أجمل فيه كل ما يتعلق بالمسائل النحوية، في حين أفرد القسم الثاني للمسائل الصرفية والصوتية.

كما أن المنهج الذي سلكه سيبويه في كتابه قد بدأ بملاحظة الظواهر اللغوية والنحوية واستقراء المادة اللغوية عامة، وهذه الملاحظات هي مرحلة من مراحل المنهج العلمي(107).

واستقراء المادة اللغوية وأخذها وجمعها عن قبائل عُرفت بالفصاحة وأماكن ظلت ضاربة في عرض الصحراء عملية تعتمد على معرفة العلماء بأصول وقواعد اللغة، التي يقعدون لها، فأخذوا ما

ISSN : 2410-1818

يتوافق مع قواعدهم، وتركوا كل ما يخالفها من استعمالات مع الاطراد لخروجها عن المستوى اللغوي الفصيح والاستعمال المطرد الشائع. وهو ما قام به سيبويه وشيوخه وهي مرحلة تالية لمرحلة الملاحظة يمكن تسميتها علمياً بمرحلة وضع القوانين(108) أو الجزئيات العامة للنظرية، ثم تأتي بعدها مرحلة الاستنباط العقلي الذي يتيح لأي عالم في أي علم من وضع أسس نظريته المستنبطة من نتائج تلك المراحل السالفة في التفكير العلمي(109). وهو ما حدث مع سيبويه ومن سبقه من العلماء حين وضعوا أسس نظرية النحو العربي التي ضمها الكتاب بطريقة منهجية منظمة مترابطة قضاياه وموضوعاته في نسق محكم يؤدى إلى الفهم والاستيعاب.

كما يرى الباحثون(110) أن من أهم سمات أي علم الشمولية؛ لأن "المعرفة العلمية معرفة شاملة... تسري على جميع أمثلة الظاهرة التي يبحثها العلم"(111). والناظر في الكتاب يجد أن الكتاب شمل كل المسائل النحوية بحيث لم يترك سيبويه لمن بعده زيادة لمستزيد ناهيك عن بعض الأمور المتعلقة بالتبويب أو الترتيب، التي وجد المتأخر فيها ضالته بشهادة العلماء القدماء والمحدثين على حد سواء.

أما مسألة البحث عن الأسباب(112) فالمقصود بها البحث عن الظواهر ومعرفة أسبابها، ومن المسلم به أن النحو العربي منذ بدايته قد خضع لهذا النوع من البحث، فقد بحث النحاة في ظواهر اللغة المطردة وذهبوا إلى البحث عن علة ما لم يطرد منها لمعرفة سبب تفرده.

كما يرى الباحثون(113) أن الدقة في النتائج وتجويدها من سمات العلوم بعامة وقد سعى النحاة إلى تحقيق درجة عالية في الدقة في عملية الاستقراء والتقعيد، وظهر ذلك من خلال اختيارهم للقبائل التي أخذت عنها اللغة، بالإضافة إلى النص القرآني الذي كان بين أيديهم والمرويات عن العرب في العصر الجاهلي من خطب وأشعار وأمثال، فعينة الاستقراء التي تمت دراستها كانت عينة كبيرة وموسعة؛ ولذلك جاءت نتائجهم في درجة من الدقة والتجويد جعلتها سليمة مقبولة من وجهة نظر التفكير العلمي ومنسجمة مع هدف النحاة في تقنين العربية آنذاك.

وقد استشهد سيبويه في كتابه بلغات كثيرة ومتعددة دلالة على الحس اللغوي الذي تميز به في معرفة لغات تلك القبائل، فقد استشهد بلغة الحجاز التي وصفها بأنها "اللغة العربية القديمة الجيدة"(114)، واستشهد أيضاً بلغة أهل المدينة وتميم، والعالية وبني سعد وبني سُليم وهذيل وقيس وطيء ومذحج وأسد، وبكر بن وائل وخثعم، وباهلة وبني ضبة وأزد السراة وأهل عمان وفزارة وبني مازن(115). إلا أن استشهاد سيبويه بلغات تلك القبائل لا يعني أنها في مستوى واحد من الفصاحة إلا أنها تماثل في بنيتها التركيبية والصرفية والدلالية والصوتية اللغة العربية في مستواها الأفصح كما مثلها القرآن الكريم(116).

وقد ذهب بعض الباحثين(117) إلى القول بأن العلماء الأوائل قد وقفوا موقفاً غير علمي تجاه اللغة وخلطوا في مستوياتها؛ لذلك كان استقراؤهم ناقصاً. وقد رد الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح

ISSN : 2410-1818

على الذين زعموا أن العلماء قد وقفوا هذا الموقف بقوله: "أما أن يقال بأنهم- علماء العربية- وقفوا من اللغة موقفاً غير علمي فلا؛ لأن العلم لا يتحدد بالغاية التي يرمي إليها أصحابه انتفاعية كانت أم غير انتفاعية، بل بمقياسين اثنين، هما: المشاهدة والاستقراء، والاختيار من جهة، والصياغة العقلية من جهة أخرى، فكلما دقت مناهج المشاهدة والصياغة وأفادت معلومات جديدة، وكشفت بذلك عن أسرار الظواهر والأحداث، كانت أحرى بأن توصف بأنها علمية"(118).

ومهما كانت الدوافع التي دفعت العلماء إلى وضع علم النحو إلا أنها مرت بمراحل من الملاحظة والاستقراء والتحليل والتفسير، عدها العلماء من أهم سمات العلم المضبوط؛ ولذلك فإن النحو العربي الذي جاء في كتاب سيبويه نحو علمي جمع بين القاعدة ومصوغاتها أو ما يمكن تسميته بإطارها النظري.

كما يمكن الرد على من ذهب إلى أن استقراء العلماء العرب للغة كان استقراءً ناقصاً بأن الاستقراء التام للظاهرة اللغوية عامة أمر متعذر، بالإضافة إلى أنه أمر غير مطلوب لإقامة نموذج تقعيد مفسر للظاهرة؛ لأن العينة اللغوية يمكن أن تؤخذ من راوٍ واحد؛ وذلك لأنه يحمل فيما يرويه سمات النظام اللغوي للجماعة اللغوية كاملة، وإن حدث تباين فهو لا يخرج عن ماهية القواعد الأصلية، "وتقنين النحو العربي جرى على درجة أعلى من الدقة فسمع اللغويون والنحاة من جم غفير من أعضاء الجماعة اللغوية التي ترتضي عربيتها وهذا الجم مما يحال عليه الكذب أو الوضع"(119).

واعتمدت طريقة سيبويه على العمل الاستقرائي المرتبط بالواقع الاستعمالي للغة محاولاً تصنيفها وتحديد علاقاتها على أساس التماثل الشكلي والوظيفي وصولاً إلى وضع الأحكام والقوانين العامة. لقد تمسك سيبويه بضوابط الاستخدام ومعاييره منهجاً في تأليفه(120) للكتاب؛ ولهذا يمكن القول بأنه جمع بين المنهجين "في حين كانت تحول غاية التأليف لدى النحاة فيما بعد إلى التوجه نحو الإفهام والتعليم"(121)، الذي أصبح غاية الدرس النحوي فيما تلا مرحلة ظهور الكتاب.

وبناءً على ما تقدم فإن كتاب سيبويه هو أساس نظرية علم النحو العربي وهو كتاب "علمي لا تعليمي؛ لأنه يحتوي على قواعد النحو وأساسها النظري. يقول الدكتور المنصف عاشور: "تعرض منزلة كتاب سيبويه استنباط نظرية تقوم على مبادئ ومقاييس تجري في نطاق تفسير المعاني النحوية في مفهومها اللساني العام، أهم مظاهرها علاقة اللفظ بالمعنى ووسم القول والخطاب والجملة والمركب من خلال رصد سياقات كثيرة متواترة منتظمة بأحكام الإعراب والعوامل والتصريف والمعجم والدلالة وموقع المتكلم والمخاطب في إنجاز تلك المعاني النحوية"(122).

ISSN : 2410-1818

وهنا تتجلى القيمة العلمية لكتاب سيبويه وتتضح المكانة التي احتلها بين سائر المؤلفات النحوية من بعده، فقد كان كتاب سيبويه قمة ما وصلت إليه الدراسات النحوية في نهاية القرن الثاني الهجري؛ لأنه صنع فيه "أعظم ما يصنع عالم لموضوعه، إذ آتاه حقه من التقصي والاستيعاب، ومن الدرس والنقد وجهد ما أسعفه الجهد الكبير والعقل المستنير لتحرير المسائل وترتيب الموضوعات حتى استحق كتابه من النحو والصرف أن يكون الكتاب، واستحق هو به أن يكون في النحويين الإمام"(123).

وعلى الرغم من كل الدراسات والأبحاث التي أقيمت على الكتاب وحوله إلا أن الباحثة تؤيد الدكتور المنصف عاشور فيما يراه بقوله: "ونرى أن قراءة الكتاب لم تحقق بعد، ولن تحقق إلا في نسق نظري يعتبر مكتسبات النظريات اللسانية الحديثة ليفهم نص الكتاب ويعين موقع سيبويه والخليل في تاريخ الدراسات النحوية الخاصة والدراسات اللسانية العامة"(124).

الخاتمة:

وفي ختام هذه السطور يمكن تلخيص أبرز النتائج فيما يأتي:

- تبين مدى اهتمام العلماء بكتاب سيبويه منذ بداية ظهوره، فعكفوا عليه دراسة وشرحا وتأليفا، وأولوه من عنايتهم ما جعله مميزا عن غيره من المؤلفات النحوية، وتابعهم العلماء في العصر الحديث فمنحوه اهتمامهم فاعتنوا بتحقيقه وطبعه، وقدموا حوله العديد من الدراسات التي تؤكد أهميته واستحقاقه لتسمية العلماء له بقرآن النحو.

- خروجه بتلك الصورة المبهرة من الكمال في استيفاء كل أبواب النحو والصرف والأصوات تأكيد على مدى تمكن مؤلفه من العلم الذي وضعه في كتابه، فعد بذلك أول مؤلف في العربية جامع لكل فنونها على غير مثال سابق ممثلا لأعلى مراتب النضج العلمي فيها.

- إن الدافع لنشأة النحو في حقيقة الأمر لم يكن لغاية تعليمية بحتة كما تداولها الدارسون، بل كانت نشأة تطلبتها صلة النحو بالدين الجديد وتضافرت لها الكثير من المسببات التي دفعت النحاة لجمع اللغة واستقراء ظواهرها ووضع قواعدها.

-الاختلاف الكبير بين النحو في الكتاب وبين المؤلفات النحوية التي ألفت لغرض تعليم اللغة لمن لا يجيدها في العصور التالية للكتاب، حيث كان الكتاب يمثل تصورا حقيقيا لمنهج التفكير العلمي عند النحاة العرب في فترة تعد الأزهر في تاريخه.

ISSN : 2410-1818

- تميز منهج سيبويه في دراسته للغة بأنه منهج ركز اهتمامه على لغة حية مستعملة متداولة فيما بين الجماعة الناطقين بها، بالإضافة الى أنه سعى من خلال دراسته للغة ونحوها إلى وضع أطر النظرية النحوية العربية.

- وجود الكثير من نقاط التقابل والتماثل بين نحو سيبويه وبين البحوث اللسانية الحديثة، فقد أكد الكثير من الباحثين على وجود ملامح المناهج اللسانية الحديثة في نحو سيبويه من خلال دراساتهم، وهو الأمر الذي جعله متميزا علميا وتحليلا واستدلالا.

- إن الخصائص العلمية التي وضعها العلماء للتدليل على علمية أي محتوى كان لكتاب سيبويه النصيب الأوفر منها بحيث تؤكد على علميته، واشتماله على أساس النظرية النحوية العربية.

- إن تجلى القيمة العلمية للكتاب ووضوح المكانة التي احتلها بين سائر المؤلفات النحوية كانت بسبب عده قمة ما وصلت إليه الدراسات النحوية في نهاية القرن الثاني الهجري واحتوائه على أسس وأطر النظرية النحوية العلمية في النحو العربي.

الهوامش والإحالات

1 - ينظر: البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1، 1986م، 179/1.

2 - علي النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1979م،186.

3- ينظر: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1، 2002م، 73.

4- ينظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، 289/1، وكوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرنا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، د.ط، 1978م، 13.

5- ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط/8، 1999م، 62، والطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط/2، 1995م، 48.

6- ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 269/1- 270، وابن النديم: الفهرست، تحقيق: محمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، 1997م، 79 - 80.

ISSN : 2410-1818

7- ابن النديم: الفهرست، 80، وأبو البركات الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998م،39، والسيوطي: بغية الوعاة، 203/1.

8- أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء، 73، وياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/1، 1993م، 123/16، والقفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/1986، 1م، 196/2.

9- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 117/16.

10- أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء، 73.

11- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 406/3.

12- ينظر: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، 98، وابن النديم: الفهرست، 80، وأبو البركات الأنباري: نزهة الألباء، 92-93.

13- أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، 89، والسيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط/1، 1995م،40، وأبو البركات الأنباري: نزهة الألباء، 92، والقفطي: إنباه الرواة، 350/2.

14- ينظر: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، 105، والزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط /2، 1984م، 72.

15- ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين235، والسيوطي: بغية الوعاة312/1، والطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة133.

16- ينظر: ابن النديم: الفهرست، 90-91، والقفطي: إنباه الرواة، 251/2-252، وحسن عون: أول كتاب في نحو العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م /11، 1957م، 43.

17- ينظر: سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/5، 2009م 1/36-40 (مقدمة المحقق)، والبكاء: المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/1، 2001م، 35- 80، وكوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرناً، 36- 69.

ISSN : 2410-1818

18- ينظر: السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دراسة وتحقيق: عبدالمنعم فائز، دار الفكر، دمشق، ط/1، 1983م، 8-9.

19- ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، 288-326، والطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 125-138.

20- ينظر: خديجة الحديثي: كتاب سيبويه وشروحه، دار التضامن، بغداد، 1967م، 151-279.

21- ينظر: البكاء: المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه، 35- 80.

22- ينظر: علي النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، 191-193.

23- أمين السيد: الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير الدراسات النحوية، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1964م، 114-119.

24- ينظر: البكاء: المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه، 29-31.

25- علي النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، 192.

26- ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، 256، والطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 106-107، وخديجة الحديثي: كتاب سيبويه وشروحه 75.

27- ينظر: عبدالقادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دار غريب، للطباعة والنشر- القاهرة، د.ط، 1998م، 68.

28- ينظر: كوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثنى عشر قرنا، 28.

29- ينظر: سيبويه: الكتاب، 1/44-60 (المقدمة)، وكوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرنا، 26- 32، وخديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، دار النهضة، بغداد ط/1، 1965م، 70-76.

30- ينظر: الكتاب، 1/44 (المقدمة)، وكوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرنا، 33، وخديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، 71، وفخر الدين قيادة: مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط/1، 1990م، 35.

31- ينظر: بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط/5، د.ت، 136/2.

ISSN : 2410-1818

32- ينظر: سيبويه: الكتاب، 44/1 (المقدمة)، وخديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه71 -76، وكوركيس عواد: سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرنا- 33-35، وفخر الدين قيادة: مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، 35.

33- ينظر: سيبويه: الكتاب، تحقيق: محمد كاظم البكاء، دار زين الحقوقية والأدبية – بيروت – لبنان، ط1، 2015م.

34- ينظر: مهند مجيدي برع: كتاب سيبويه مطبوعاً، مجلة آداب الفراهيدي، ع/21، 2015م، 39.

35- ينظر: ناصر فرحان الخريص: مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع / 19، مايو 2017 م، 375، وجيرار تروبو: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية، مج/ 1، ع/1، 1987م، 127.

36- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 135/2.

37- علي النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، 91.

38- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط/1966، 14م، 123.

39- أحمد مكي الأنصاري: سيبويه في الميزان، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ج،34، 1974م، 103.

40- كمال شاهين: نظرية النحو العربي القديم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/1، 2002م، 33.

41- ينظر: أحمد بدوي: سيبويه حياته وكتابه، مؤسسة هنداوي سي آى سي، المملكة المتحدة، د.ط، 2017م، 41.

42- مصطفى عبدالعزيز: المذاهب النحوية في ضوء الراسات اللغوية الحديثة، المكتبة الفيصلية، جدة، ط/1986، 1م، 29.

43- ينظر: يوهاس جيوم: التراث اللغوي العربي، ترجمة: محمد حسن عبدالعزيز وكمال شاهين، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط/1، 2007م، 33.

44- ينظر: الدجنى: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، وكالة المطبوعات، الكويت، ط/1، 1974م، 44، وعصام نور الدين: تاريخ النحو المدخل النشأة والتأسيس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط/1995، 1م، 19، ومحمد خير الحلواني: المفصل في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1979م، 22، وعبدالعال سالم مكرم: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة،

ISSN : 2410-1818

بيروت، ط/2، 1993م، 11-14، ومحمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، د.ت، 7، وعلي النجدي ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، سلسلة كتابك (157)، د.ت، 7، ومحمد الشاطر: الموجز في نشأة النحو، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ط، 1983م،6، ومحمود سليمان ياقوت: النحو العربي تاريخه- أعلامه- نصوصه- مصادره، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1994م، 9-10، وعفيف دمشقية: تجديد النحو العربي، معهد الأنماء العربي، بيروت، طبعة 1981م، 57.

45- علي أبو المكارم: مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2007م، 52.

46- عصام نور الدين: تاريخ النحو- المدخل النشأة والتأسيس، 43.

47- ينظر: محمد خير الحلواني: المفصل في تاريخ النحو العربي، 18، وصاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر للطباعة، عمان- الأردن، ط/1، 1998م، 20، والأفغاني: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1987م، 161، ومحمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، 28.

48- حسن عون: أول كتاب في نحو العربية، 39، وحسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق للنشر، الأردن، ط/1، 2002م، 38، ومحمد ربيع الغامدي: النماذج العلمية في العلوم (النموذج النحوي مثالاً)، علامات في النقد، م/19، ع/75، سبتمبر 2012م، 124، ومحمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، 28، وحمزة المزيني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، كتاب الرياض، العدد/ 125، 2004م، 53.

49- ينظر: محمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، 28.

50- ينظر: محمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، 28، ومحمد ربيع الغامدي: النماذج في العلوم (النموذج النحوي مثالاً)، 124، ومحمد سعيد الغامدي: اللغة والكلام في التراث النحوي العربي، عالم الفكر، م/54، ع/5، يناير- مارس 2006م، 85، وعبدالرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، ع/4، 2007م، 99-100.

51- حسن عون: أول كتاب في نحو العربية، 39.

ISSN : 2410-1818

52- عبده الراجحي: النحو العربي واللسانيات المعاصرة، مجلة البحث اللساني والسيميائي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، مايو 1981، 155.

53- عبدالرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علو م اللسان عند العرب (4)، 2016م، 273.

54- خديجة الحديثي: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت رقم (37)، 1974م، 7.

55- محمد ربيع الغامدي: النماذج العلمية في العلوم (النموذج النحوي مثالاً)، 129.

56- ينظر: محمد سعيد الغامدي: قضية نشأة النحو العربي في آثار الدارسين، 28.

57- تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط/1، 2007م، 13.

58- ينظر: محمد صارى: تيسير النحو، ترف أم ضرورة، مجلة الدارسات اللغوية، مج/3 ع/2 سبتمبر 2001م، 152.

59- محمود فهمي حجازي: علم اللغة مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات- الكويت، د.ط، 1973م، 91.

60- ينظر: نفسه. وقد أحصى الدكتور علي أبو المكارم من ألفوا في النحو التعليمي منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى القرن التاسع. ينظر: تعليم النحو العربي عرض وتحليل، مؤسسة المختار، القاهرة، ط/2007، 1م، 29-43.

61- ينظر: طلال علامة: نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط/1، 1992م، 33.

62- حسن عون: اللغة والنحو. دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، مطبعة رويال، الإسكندرية، ط/1، 1952م، 79.

63- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 38.

64- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 38.

65- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 38.

66- نفسه، 39.

ISSN : 2410-1818

67- ينظر: كمال بشر: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة، 1999م، 150، وحسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 39.

68- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 40.

69- ينظر: عبدالكريم خليفة: تيسير العربية بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ط/1، 1986م، 102.

70- محمد سعيد الغامدي: اللغة والكلام في التراث النحوي العربي، 85.

71- ينظر: عبدالرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، 3.

72- عبدالرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، 4.

73- نفسه، 5.

74- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 156-157.

75- حمزة المزيني: مراجعات لسانية الجزء الثاني، كتاب الرياض، ع/75، فبراير 2000م، 207.

76- ينظر: منها على سبيل المثال رؤى لسانية في نظرية النحو العربي للدكتور حسن خميس الملخ والكتاب بين المعيارية والوصفية للدكتور أحمد سليمان ياقوت والمنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن، والنحو العربي والدرس الحديث والنحو العربي واللسانيات المعاصرة، للدكتور عبده الراجحي ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث للدكتور نهاد الموسى وغيرها من الدراسات التي لا مجال لحصرها.

77- ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت، ط/2، 1986م، 5.

78- عبدالله الجهاد: منهج تمام حسان والحركة اللسانية في المغرب، مجلة جذور التراث، مج/12، ع/30، يناير 2003م، 478.

79- ينظر: ناصر فرحان الخريص: مايكل كارت وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية، 380-382، وحمزة المزيني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، 25-126.

80- ينظر: محمد بن حجر: الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، أطروحة دكتوراه جامعة سعد دحلب بالبليدة، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013م، 391.

ISSN : 2410-1818

81- محمد بن حجر: الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، 18-19، وحمزة المزيني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، 120-144.

82- ينظر: كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد دراسة عن منهج سيبويه في النحو، ترجمة: عبدالمنعم آل ناصر، مجلة المورد، مج /20، ع / 1، 1992م، 34، وعبدالعزيز العماري: أفكار لسانية في كتاب سيبويه، بحث منشور ضمن كتاب مركزية سيبويه في الثقافة العربية، منشورات فريق البحث الأدبي والسيميائي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، ط/1، 2017م، 656.

83- ينظر: لطيف حاتم: منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج/11، ع/2، 2012م، 5، ومحمد بن حجر: الاستدلال في كتاب سيبويه طبيعته وأنماطه، 382، وحمزة المزيني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، 141.

84- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة- بيروت، ط/1، 2005م، 16-17.

85- ينظر: محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف سيبويه إمام العربية كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ج/2، 2010م، 1046، وإدريس مقبول: العناية بالخلف مدخل لتداوليات كتاب سيبويه، بحث منشور ضمن كتاب مركزية سيبويه في الثقافة العربية، منشورات فريق البحث الأدبي والسيمائي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب ط/1، 2017م، 741.

86- ينظر: ناصر فرحان الخريص: مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية، 387-392.

87- ينظر: أحمد المهدي المنصوري وأسمهان الصالح: النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع/29، شباط، 2013م، 330، وجابر عبد الأمير التميمي: جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2003م، 63.

88- ينظر: جابر عبد الأمير التميمي: جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه، 122.

89- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط، 1979م، 149.

90- كارتر: نحو عربي من القرن الثامن الميلادي، 39.

91- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 17.

ISSN : 2410-1818

92- سلمان عباس: الأبعاد المعرفية للعمل النحوي عند سيبويه في ضوء معطيات الخطاب، بحث ضمن مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع/40، كانون الأول 2014م، 465.

93- سيبويه: الكتاب، 218/1 وينظر: 275/1و 277 و330 وغيرها من المواضع التي ركز فيها على الاستعمال اللغوي عند العرب.

94- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، 55.

95- ينظر: السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو وجدله، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. مكتبة الصفا القاهرة، طبعة جديدة، 1999م، 158.

96- سيبويه: الكتاب، 414/1.

97- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 34.

98- ينظر: حمزة المزيني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، 128.

99- ينظر: تمام حسان: الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، د.ط، 2000م، 16-19، وحسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، حسن خميس الملخ، 20-28، وفؤاد زكريا: التفكير العلمي، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 1977م، 16-38.

100- ينظر: تمام حسان: الأصول، 16-19، وعبدالرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، 279.

101- ينظر: تمام حسان: الأصول، 61.

102- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 109.

103- سيبويه: الكتاب، 1/ 13.

104- ذكر الدكتور فؤاد زكريا خصائص أخرى عدها في التراكمية، التنظيم، البحث عن الأسباب، الشمولية والدقة والتجويد. ينظر: : فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 15-40.

105- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 15، وحسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 46.

106- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 21-28.

107- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 25، وحسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 67.

ISSN : 2410-1818

108- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 25، وتمام حسان: الأصول، 57.

109- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 26.

110- ينظر: تمام حسان: الأصول، 58، وفؤاد زكريا: التفكير العلمي، 34.

111- ينظر: فؤاد زكريا: التفكير العلمي، 29.

112- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 72-73، وفؤاد زكريا: التفكير العلمي، 36-40، وعلي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط/1، 2006م، 71-72.

113- سيبويه: الكتاب، 473/4.

114- نفسه.

115- ينظر: سيبويه: الكتاب، 5 /195 (الفهارس التحليلية).

116- ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 72.

117- ينظر: منى إلياس: القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي، دار الفكر، دمشق، ط/1، 1985م، 14، وعلي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، 40.

118- عبدالرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، 374.

119- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، 76.

120- ينظر: أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط /1، 1989م، 129-130، ونوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار دجلة، عمان، ط/1، 2006م، 304، ومازن الزيدي: نحو سيبويه في كتب النحاة، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 2006م، 32.

121- مازن الزيدي: نحو سيبويه في كتب النحاة 32.

122- المنصف عاشور: منزلة المعاني النحوية من خلال شروح كتاب سيبويه، ضمن كتاب مركزية سيبويه في الثقافة العربية، مطبعة الهداية، تطوان -المغرب، ط/1 2017م، 286.

123- علي النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، 186.

124- المنصف عاشور: منزلة المعاني النحوية من خلال شروح كتاب سيبويه، 281